



تفريغ محاضرة

وتحسبونه هيناً ٣

رواء الاثين | د. هند القحطاني

١٤٤٦/٥/١٦ هـ

” وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا ”

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغِيثُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضَلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ

وصلتني رسالة الأسبوع الماضي من إحدى الأخوات تتضمن إعلانًا لذنب معين، وأثارت هذه الرسالة لدي مجموعة من الأسئلة؛ منها لماذا يعود العبد دائمًا إلى نقطة الصفر في علاقته مع الله عز وجل؟ وما الذي يجعل الحرام أو الذنب سهلًا على صاحبه؟

يقول العلماء: ”إِنَّ كَثْرَةَ الْمَسَائِسِ تُذْهِبُ الْإِحْسَاسَ“ لذلك كانت كثرة التعرض للذنب أو المعصية تجعل النفس تألفه وتستنكر حرمة ارتكابه، كما أنها تجعل مقاومة النفس أضعف، كالجسم تمامًا يضعف بتعرضه للأمراض بكثرة.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدْقُ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمَوْبِقَاتِ“^١.

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ”إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذَبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا“^٢ فالؤمن إذا ارتقه ذنبه حاسب نفسه على كل ذنب اقترفه، فإذا مرَّ بالجبل خاف أن يسقط عليه فلا يجترئ بذنبه على الله.

وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”كُلُّ أُمَّتِي مَعَاذِي إِلَّا الْمَجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يَصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيَصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللَّهِ عَنْهُ“^٣.

^١ أخرجه البخاري في صحيحه.

^٢ أخرجه البخاري في صحيحه.

^٣ أخرجه البخاري في صحيحه.

وهذا ما يحدث اليوم إذ يأتي أحدهم فيرتكب المعصية، وليس هذا فحسب بل ويجاهر بها أمام الناس وذلك بنشر صورها على الهواء مباشرة وعلى مواقع التواصل الاجتماعي، فيزيّن الذنب لغيره، فيحمل أوزار كل من زين لهم الذنب.

وهناك فرق بين إنسان يفعل الذنب على استحياء وخوف من الله عز وجل وآخر يجاهر به، وإياك أن تقول هذا حرية شخصية، فإضلال الناس ليس بحرية شخصية أبدًا.

قال الإمام ابن الجوزي رحمه الله: "المجاهرون هم الذين يجاهرون بالفواحش، ويتحدثون بما فعلوه منها سرًا، والناس في عافية" ويقول القاري رحمه الله: "كل أمتي لا يؤاخذون أو لا يعاقبون عقابًا شديدًا إلا المجاهرين". وقال العلماء: "صاحب هذا الذنب الذي يجاهر به لا يوفق للتوبة منه، فيبقى مستحسنًا له زائغ القلب عن فحشه وعاره حتى يلقي الله به".

فخطورة المجاهرة بالذنب بلا استحياء منه أن يختم الله على قلب العبد فلا يوفق لتوبة وإن أراد. يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: 05]

ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "عاقبة المجاهر بذنوبه أنه ينسلخ من القلب استقباؤها". فيذنب العبد في البداية على خوف واستحياء ثم ينزع الله من قلبه استقباحه، فيعتاده ويجاهر به فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له، وهو متلبس بهذا الذنب.

وعلينا أن نرجع لكتاب الله عز وجل، ننهل منه تفسيرًا وتدبيرًا، فالقرآن لم ينزل للتلاوة فقط، هو ليس كأبي كتاب يتلى بل هو منهج حياة.

❖ قصة أصحاب السبت

إحدى القصص التي ذكرها الله عز وجل في كتابه العظيم، وأخبر بها رسوله صلى الله عليه وسلم عنهم، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا تَسْبِتُونَ ۚ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَلِكَ نَبِّئُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: 163]، والحيتان في لغة العرب هي الأسماك. فعندما شددوا على أنبيائهم شدد الله عليهم، فابتلاهم وحرّم عليهم يوم السبت البيع والتجارة والزواج وغيرها، وأمرهم أن يتفرغوا للعبادة؛ ذلك أنهم فسقوا وأكثروا فعل الذنوب والمعاصي، ففتنهم الله عز وجل وحرّمهم الصيد بعد أن كانت حياتهم قائمة عليه، فكانوا ينتظرون وصول السمك إلى الشاطئ طوال أيام الأسبوع فما يأتيهم، فإذا جاء يوم السبت الذي حرّم فيه الصيد إذ بالأسماك تتقافز أمامهم.

فاحتالوا بأنه إذا كان الجمعة بنوا أحواضًا على البحر، ورموا فيها شباكهم، فإذا كان السبت وصلت الأسماك إلى الشاطئ وعلقت في الشباك. يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا ۚ اللَّهُ مُهِلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۗ قَالُوا مَفْعَرَةٌ إِلَيْنَا رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابٍ بَيِّيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهَوُّا عَنْهُ فَلَمَّا نَسُوا مَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٦)﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٦].



وانقسم المجتمع بعدما خالفوا نهى الله عز وجل عن الصيد يوم السبت إلى ثلاثة أقسام:

١. **القسم الأكبر** وبلغ حسب الروايات **سبعين ألفاً**، وهؤلاء اجتروا على الله وعصوا أمره فصادوا يوم السبت.
٢. **القسم الثاني** وبلغ **اثنى عشر ألفاً**، وهم الفرقة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، وكانوا متخوفين من مخالفة اليهود لله عز وجل، فأنكروا عليهم صنيعهم، وأخذوا ينهونهم عن فعل ذلك، ويحذرونهم من انتهاك حرمة يوم السبت؛ خوفاً من عذابه.
- وعلى الرغم مما رأوا من صيدهم وبيعهم السمك في الأسواق إلا أن هذه الفئة القليلة بقيت على موقفها رافضة مخالفة أمر الله تعالى، واعتزلوا أصحابهم إلى شطر القرية الآخر وبنوا بينهم حاجزاً؛ ليعلم الله عز وجل رفضهم وكرههم لما فعلوا.
- فكان من رحمتهم بهم أنهم لم يستمعوا لمن أنكر عليهم نهيمهم إياهم فلم يتركوا نصيحتهم ودعوتهم لإطاعة الله لعلهم يهتدون ويتركون ما هم عليه.
٣. **القسم الثالث**: وهو قليلٌ صامتٌ رافضٌ أن يعصى الله عز وجل في هذا اليوم، لم يفعل فعل القسم الأول ولا الثاني؛ فلم يصدّوهم أو ينهّوهم عن فعلهم، بل أنكروا على من نهى نهيمهم وكانوا قلةً قليلة، ونجوا من العقوبة.
- ولأن الجزاء من جنس العمل سكت الله عن الساكتين؛ فهم لم يستحقوا مدحاً يمدحوا عليه، ولا ارتكبوا عظيمًا يأخذون بجريرته.
- ومرّت الأيام بعد الأيام فاجتازوا الحاجز؛ ليرَوْا ماذا صنع أصحابهم في الجانب الآخر، فلم يجدوا إلا قردةً وخنازير فعلموا أن الله أنزل بهم عقابه فمسخهم قردةً وخنازيرَ جزاءً بما فعلوا، فأخذوا يلومونهم ويقولون: ألم نكن ننهاكم عن ذلك.
- وقد خلّد الله ذكر هذه الحادثة في كتابه العظيم وغيرها من قصص الأمم الماضية لا لغرض السرد التاريخي بل عظةً وعبرةً لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يظن أحدٌ أننا بما مني من أن تصيب مثل هذه العقوبة هذه الأمة، ذلك أنهم لما عتوا وتجروا في منكرهم وفي ذنبهم حلّ بهم البلاء.
- يقول الإمام ابن كثير رحمه الله: **” فنصّ الله عز وجل على نجاة الناهين بقوله: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾**
- وأرجح الأقوال في هؤلاء ما ذكره ترجمان القرآن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنهم نجوا؛ لأنهم لم يفعلوا الذنب لكنهم لم يأخذوا الكرامة كالفریق الثاني ممن نصح وهذه الدرجة الأرفع.

❖ صور المجاهرة بالذنب

للمجاهرة بالذنب ست صور:

- الصورة الأولى: أن تفعل الذنب وتجاهر به دون أن يردعك عنه دينٌ أو عُرف.
 - الصورة الثانية: أن تمارس الذنب في الخلوة ثم تبوح به للناس في العلن. فعن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بعد أن رجم الأسلمي فقال: **“اجتنبوا هذه القاذورة التي نهى الله عنها، فمن ألمّ فليستتر بستر الله...”**^٤.
- فوصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الذنوب بالقاذورات وهي ملوثات القلوب، وأمر النبي عليه الصلاة والسلام من أصاب منها شيئاً ألا يجاهر به.
- وذكرت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- أن إحدى النساء كانت في مجلس، فذكرت ما وقع لها فقالت: **“إني كنت في سفر، فمررت برجل فأمسك طرف ثوبي، فاعترضتها أم المؤمنين وقطعت كلاهما وأعرضت عنها بوجهها وقالت: “يا نساء المؤمنين، إذا أذنبت إحداكن ذنباً فلا تخبرن به الناس، ولتستغفر الله تعالى، ولتتب إليه؛ فإن العباد يعيرون ولا يغيرون، والله تعالى يغيّر ولا يعيّر.**
- فالناس تعيّر بعضها البعض بذنوبها القديمة ولا تستطيع تغيير شيء، أما الله عز وجل فلا يعيّرك بالذنب القديم بل يفره ويستتره ويغير روحك وقلبك.

▪ الصورة الثالثة: أن تعلن الذنب وتروّج له، وإنّ ترويحك لهذا الذنب يعدّ مجاهرةً وذنباً.

- قال الله عز وجل: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كَيْتُوا كَمَا كُيْتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۗ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾** [المجادلة: 0]
- الصورة الرابعة: أن تنقل أخبار الذنب وتنشر مشاهدته وصوره مجاهرةً، لا استنكاراً أو استغراباً له. ويقول الله عز وجل: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾** [النور: 19]. فيتوعدّ الله من يجاهر بالذنب بعدابي الدنيا والآخرة.

▪ الصورة الخامسة: أن يهونَ عليه الذنب، فيجادل فيه ويدافع عنه.

- عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **“إياكم ومحقرات الذنوب، وإنّ محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه”**^٥

فلم ينه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عظام الذنوب بل كل ما يفعله العبد من الذنوب فيحتقرها؛ لصفرها.

^٤ أخرجه الحاكم في مستدركه، وصحّحه الألباني.

^٥ قال الألباني: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

▪ الصورة السادسة: أَلَّا تَسْكُتَ عَنِ الشَّرِّ بَلْ تَنْصَحْ بِتَرْكِهِ

فالسكوت عنه نوعٌ من الإعانة على هذه المجاهرة، فيجب أن تكون بريء الذمة عندما تقف أمام الله عز وجل فتنصح، ولا تسكت عن الحق فتكون شيطاناً أخرس، وقد قيل: "إذا كان فاعلُ الذنب شيطاناً فإن الساكت عن الذنب شيطانٌ أخرس".

▪ الصورة السابعة: أن تنفق من مالك وتتاجر فيما حرّم الله عز وجل

عن خولة الأنصارية -رضي الله عنها- قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: "إِنَّ رَجُلًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلَهُمْ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".^٦

ويخصّ رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال والنساء على السواء ويتوعدّهم بالنار يوم القيامة؛ ذلك أن المال مما يُسأل عنه العبد عندما يوقفه الله بين يديه للحساب. فعن أبي بزة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزولُ قدما عبدٍ حتّى يُسألَ عن أربع: عن عمره فيمّ أفناه، وعن علمه ما فعلَ فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمّ أنفقه، وعن جسمه فيمّ أبلاه".^٧

فلاحظ -أخي في الله- كل شيء يُسأل عنه بسؤال واحد إلا المال يُسأل عنه بسؤالين: من أين حصلت عليه؟ وفيم أنفقته؟

وقد جاء ذكر الله عز وجل للأمم السابقة كقوم عاد وثمود وفرعون، لا لمجرد السرد والتسلية بل للعظة والتذكرة. يقول الله عز وجل في سورة النحل بعد ما ذكر الأمم السابقة يقول: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥-٤٧]

ويقول الله عز وجل: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ (٩٨) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۗ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩) أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْنَأْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠) تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ۗ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۗ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٧-١٠١]

فالله عز وجل يعلم عباده الذين ورثوا الأرض درساً؛ أن كل ذلك ذاهبٌ لا محالة، فلو بقي لفيرك لما وصل إليك.

^٦ أخرجه البخاري في صحيحه.

^٧ أخرجه الترمذي في سننه، وصحّحه الألباني.

وقد جاء في الصحيحين من حديث زينب بنت جحش رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَرِغًا يَقُولُ: **“لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَلُّ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِّحَ الْيَوْمَ مِنْ رَذْمٍ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذِهِ، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: “نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الذَّبْتُ”.**

يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ١٤٠٠ عام بنزول عقاب الله عز وجل بعباده إذا غلب فيهم الخبث وكثرت الذنوب والمعاصي، لذلك لا يجب أن ترى المنكر، فتبقى واقفًا لا تحاول دفعه.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **“وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لِيُوشِكَنَّ اللَّهُ يَبْعَثُ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يَسْتَجَابُ لَكُمْ”.**^٩

وهذا ما يقع الآن إذ إننا ندعو الله عز وجل أن يرفع عنا الغلاء والوباء فلا يستجاب لنا.

وعن جرير -رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **“مَا مِنْ قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ، ثُمَّ لَمْ يَغْيِرُوهُ، إِلَّا عَقَّمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ بِعِقَابٍ”!**

❖ الوقاية من الوقوع في المجاهرة بالذنب

وتكون الوقاية بطرق كثيرة، منها:

١ . الخوف من الله عز وجل والحياء منه

فاستح من الله حق الحياء ولا تجعل الله عز وجل أهون الناظرين إليك، فلا يُعقل أن تستحي من إنسانٍ صالح تعرفه ولا تستحي من الله عز وجل.

ولقد كان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب من أعظم رجال الأمة بعد النبي عليه الصلاة والسلام، وأسهم عمر بفضل عبقريته في تدوين الدواوين واستمرت الفتوحات طوال مدة خلافته، وقُتِلَ شهيدًا مطعونًا وهو يصلي الفجر في محراب مسجد النبي عليه الصلاة والسلام في المدينة فلما جاءه أصحابه في نزع الأخير وأخذوا يذكرون له محاسنه أخذ يقول: **“المغروزُ مَنْ غَرَّرْتُمُوهُ”** وكان يقول لابنه عبد الله رضي الله عنه: **“ضَعْ خَدِّي عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْ**

أُمِّي لِيْتَهَا لَمْ تَلْدَنِي”.

وكان في خديهِ خطآن من الدموع من بكائه بالليل خوفًا من الله وهو عمر. فكيف نأمن وقد خاف عمر؟ فعلينا أن نراجع خوفنا من الله عز وجل وحياءنا منه وندرك معاني أسماء الله عز وجل الرقيب والشهيد السميع والبصير وننظر في تفسيرها ونتدبر القرآن بكل ما فيه من وعظ.

^٨ أخرجه البخاري في صحيحه.

^٩ أخرجه الترمذي في سننه، وحسنه الألباني.

^{١٠} أخرجه أحمد في مسنده، وصححه الألباني.

يقول الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَايَهُمْ وَلَا حُمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آذَنٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۗ ثُمَّ يَنْتَبِهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ۷]

فإذا كنت مع صاحبك وحدكما فاعلم بأن الله ثالثكما يسمع ويرى، وأن الله علم كل ما تخططان له، فإياك أن تجترأ على الله عز وجل.

عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استحيوا من الله حقَّ الحياءِ"، قال: قلنا: يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال: "ليس ذلك، ولكنَّ الاستحياءَ من الله حقَّ الحياءِ أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموتِ والبلى، ومَنْ أَرَادَ الآخرةَ تركَ زينةَ الدنيا،...."^{١١}

فأما حفظ الرأس وما وعى، فيكون بأن تتبته لخواطرك التي تجول في عقلك وقلبك، فعليك أن تجاهد نفسه، ذلك أنك إن لم تشغلها بالطاعة شغلتك بالمعصية.

٣. التزام الإيمان والعمل الصالح

فتلزم نفسك بالإيمان، بكل معانيه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "ليس المؤمنُ بالطعانِ، ولا باللعانِ، ولا الفاحشِ، ولا البذيءِ"^{١٢}

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "المسلمُ مَنْ سَلِمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"^{١٣}

وعن أبي ذرِّ الغفاري قال: قلت: يا رسول الله، أيُّ الأعمالِ أفضلُ؟ قال: "الإيمانُ باللهِ والجهادُ في سبيله". قال: قلت: أيُّ الرقابِ أفضلُ؟ قال: "أنفسُها عندَ أهلِها وأكثرُها ثمنًا" قال: قلت: فإن لم أفعل؟ قال: "تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقٍ" قال: قلت: يا رسولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ الْعَمَلِ؟ قال: "تَكْفُ شَرِّكَ عَنِ النَّاسِ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ"^{١٤}

فإن توقفت عن إيذاء الناس فلك أجر، فدفع الشر خيرٌ ونوعٌ من أنواع الصدقة، والعمل الصالح جندي من جنود الله عز وجل يدافع عنك، وإن العمل الصالح لينفع صاحبه عند الابتلاء، عندما تضعف النفس، فعندما أخلص يوسف عليه السلام في عبادة ربه صرف عنه الله عز وجل السوء والفحشاء ومكر الماكرين.

قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۗ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤]

وكذلك يونس عليه السلام عندما أكثر من تسبيح الله عز وجل نجَّاه من الهلاك في بطن الحوت. قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣-١٤٤]

^{١١} أخرجه الترمذي في سننه، وحسنه الألباني.

^{١٢} أخرجه البخاري في صحيح الأدب المفرد، وصحَّحه الألباني.

^{١٣} أخرجه البخاري في صحيحه.

^{١٤} أخرجه مسلم في صحيحه.

٣. تعلق القلب بالدار الآخرة

بأن تقرأ كتبًا موثوقةً عن الدار الآخرة، والقيامة الكبرى والصغرى، وعالم البرزخ، وأنصحك بقراءة كتاب (يوم القيامة الكبرى) للأشقر، وله الكثير من الكتيبات الصغيرة سهلة القراءة، يجمع فيها الأحاديث التي تتكلم عن الآخرة، ويلخص فيها كل ما يحدث إلى أن تنتهي الحياة.

ويشوقنا الله عز وجل للجنة فيجعلها دار الجزاء لكل من عمل صالح، كما يجعل النار دار العقاب للذين اجتروا عليه بالذنوب، فيذكر مشاهد النار وما فيها من عذاب، ومشاهد الجنة وما فيها من نعم، ويخوِّفنا الله عز وجل في كثير

من آيات كتابه، فيقول: ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ ۗ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦]

ذلك أنه لا يجب أن تمرَّ مثل هذه الآيات بلا تدبرٍ وتفكير، فعندما يخوِّف الله عباده يجب أن يخافوا، فهذا الخوف لا يشبه خوف الدنيا.

وجاء في حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لَجَبْرِئِيلَ: "اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أي رب، وعزتك لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها، ثم حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثم قال: يا جبرئيل اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء، فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحدٌ، فلما خلق الله النار قال: يا جبرئيل اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لا يسمع بها أحدٌ فيدخلها، فحفَّها بالشهوات، ثم قال: يا جبرئيل اذهب فانظر إليها، فذهب فنظر إليها، ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يبقى أحدٌ إلا دخلها!"^{١٥}

وعن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرياض بن سارية يقول: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً...: "قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك..."^{١٦}، فإذا هلك العبد بعد كل هذا الوضوح، فهو من أرادته لنفسه،

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ يَدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتَرُّهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيقول: نعم، أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هالك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته..."^{١٧}

فيفغر الله له ذنوبه بعد أن سترها؛ ذلك لأنه كان يخشى ذنوبه في الدنيا، فلم يجاهر بها، فما كان يسرُّه أن يرى أحدًا يذنب ذنبه.

قال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الَّتِي نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:

[٨٣]

^{١٥} أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: حسنٌ صحيح.

^{١٦} أخرجه ابن ماجه في سننه، وصحَّه الألباني.

^{١٧} أخرجه البخاري في صحيحه.



ع. تحيط نفسك برفقة صالحة

يقول الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٦) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذُّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٦-٢٩]

فيستوي في ذلك النساء والرجال، ويعضُّ الظالم على يديه ندمًا، أحط نفسك برفقة صالحة، واجتمعوا على طاعة الله عز وجل في حلقة ذكر، أو تعليم قرآن، أو تعليم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

0. حَضَّ الْإِسْلَامُ عَلَى التَّعَلُّمِ، فَلَا بَدَّ لَكَ أَنْ تَتَعَلَّمَ، وَإِنْ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ١].
وقال ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]

والزم نفسك بتعلم العلم الشرعي من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولنشغل وقتنا بتعلم ما ينفعنا من ديننا ذلك أن طرق نسف الحسنات كثيرة، فقد تمسك هاتك فتشاهد ما لا يجب لك مشاهدته فتخسر رصيدًا من الحسنات كنت قد جمعتها بمجرد النظر إلى الحرام، لذلك يقول الشيخ العصيمي: "لا يأتي زمن إلا والذي بعده أشرف منه".

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال النبي عليه الصلاة والسلام: "..... فاصبروا حتى تلقوني على الحوض"^{١٨}.

يحثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصبر حتى نلقاه، ويتأتى الصبر بأمرين اثنين:

١ - أن تصبر على الشر

فلا تكن من أهله، فتجاريه وتدخل فيه وإن رأيت كل الناس داخله فيه ولا تجهر به.

٢ - أن تصبر على الخير

بأن تكون من أهله وتبقيه في نفسك وتربي عليه أولادك بل وتدعو إليه الناس، قال تعالى: ﴿وَالْقَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]
ذلك أن الطريق ليس سهولاً وقد تعترضك الكثير من العوائق وربما تجد نفسك غريبًا بين أهلك وأصحابك؛ لاختلافك عنهم واتفاقهم على الباطل فلا أحد يؤمن بما تؤمن به فإذا كان ذلك فاصبر.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر"^{١٩}.

^{١٨} أخرجه البخاري في صحيحه.

^{١٩} أخرجه الترمذي في سننه، وصححه الألباني.

ولندعو الله بدعاء سيد الخلق رسول الله صلى الله عليه وسلم: **“اللَّهُمَّ يَا وَلِيَّ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ مَسْكُنِي بِالْإِسْلَامِ حَتَّى أَلْقَاكَ” ۲٠**

٦. أن تأمر بالمعروف

فتورث هذا الدين من يأتي بعدك، ويكون لك مشروع تتركه لمن يأتي بعدك، وقد سمعت عن أمّ مصرية حفظ ابنها القرآن غيبًا وهو ابن أربع سنين فقط، وإني أتعجب كيف استطاعت فعل ذلك مع ما تتحمله من مسؤوليات بيتها وزوجها؟ وكيف حفظته القرآن كاملاً؟ وكيف حفظته آية الدين في سورة البقرة، وآية المواريث في سورة النساء؟ وكيف وقف أمام اللجنة لتمتحنه بما حفظ وهو ابن أربع سنين ومن مثله ما يزالون يلعبون ويلهون في الطرقات؟!

فعليك أن تجعل لك مشروعًا في حياتك خدمةً للدين، إما ولدًا صالحًا تحفظه كتاب الله تعالى، وتعلمه سنة رسول الله فيمتملي قلبه بكلام الله عز وجل، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، فإذا ما تعرض لما يعترض عليه دينه وجد عنده أدلة من الكتاب والسنة وكان معه كل الأسلحة التي من الممكن أن يحتاج لها في معركته مع الحياة. أو تتكفل أيتامًا ومحتاجين، أو تجمع أطفال الحي في حلقة وتعلمهم سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وشيئًا من حديثه عليه الصلاة والسلام. ففي ذلك من تفرج الكرب الشيء الكثير، وإن الله شكورٌ يجازي بالعمل القليل الأجر الكبير، ولعلّ الله تعالى يفرّج عنك بما فرّجته من كُرب العباد.

٧. بأن تكون فعلاً صغيراً كنت أو كبيراً، رجلاً أو امرأة

كثيراً ما أذكر لكم قصة قدر البليلة، بدأت القصة قبل ثلاث وعشرين سنة مع امرأة فقيرة كبيرة في السن، عندما تم جمع التبرعات لبناء مدرسة خديجة بنت خويلد، أرادت هذه المرأة أن تساهم في بناء المدرسة وكانت مشهورة بطبخة بليلة فكانت تضع قدرًا كبيرة وسط الساحة وتبيع الصحن بثلاثة ريالات لتجمع التبرعات، فعسى قدر البليلة أن يدخلها الجنة.

فإذا أنعم الله عليك بموهبة ما، واستطعت أن تذبّ بها عن دين الله عز وجل وتنصر دينه وكتابه وسنة نبيه فافعل. وليكن لك عملٌ يبعدك عن النار ويدخلك الجنة، عملٌ تدفع فيه عن نفسك عتاب الله عز وجل لك إذا قال لك: “يا عبدي رأيت الناس تذب وتعضيني فماذا فعلت؟”

وعندما تأسست جمعية ركن الحوار الدعوية وكان صاحبها مهندسًا ليس له علاقة بالدعوة لكن لغته الإنجليزية كانت قوية بحكم عمله في مجال الهندسة والمقاولات، فكان كلما سافر إلى البلدان الأجنبية أخذ الناس يسألونه عن الإسلام وأخذ يجيبهم، ثم بدأ بطباعة كتب للدعوة للإسلام، ثم أجرى دورات مكثفة باللغة الإنجليزية تدعو غير

٢٠ أخرجه الطبراني في معجمه الأوسط، وقال الألباني: إسناده جيد.

المسلمين إلى الإسلام، وأنشأ بعد ذلك منصة على الإنترنت وأخذ يتحدث مع من يسأل عن الإسلام، وشاهدت موجزاً لآخر إنجازاتهم فكان إسلام أكثر من ٨٠٠ شخص بجنسيات مختلفة في أسبوعٍ واحد. ونحن نأمل أن يسلم على أيدينا شخصٌ واحدٌ فقط ندخل بهدايته الجنة، فلكلٍ منا أفكاره ومشاريعه لكن العبرة كيف نخدم بها ديننا؟ وإن لم يكن، فلنساعد من عنده مشروعٌ في الخير، ونعينه فنقتسم الأجر معه إن شاء الله تعالى. وقد حدّثنا عبد الله بن عَنَمِ الأشعري، قال: حدّثني أبو عامر أو أبو مالك الأشعري، والله ما كدّني: سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **”ليكوننَّ من أمتي أقوامٌ يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلنَّ أقوامٌ إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم -يعني الفقير- لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غداً، فيبييتهم الله ويمسح آخرين قرده وخنازير إلى يوم القيامة“**^{٢١}.

ويقول النبي عليه الصلاة والسلام: **”يَمَسُخُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَيَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيُصُومُونَ وَيُصَلُّونَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالُوا: فَمَا بَالُهُمْ؟ قَالَ: يَتَّخِذُونَ الْمَعَازِفَ وَالْقِيَانَاتِ وَيَشْرَبُونَ الْأَشْرِيَةَ - يعني الخمر- فَيَأْتُونَ عَلَى شَرَابِهِمْ وَلَهْوِهِمْ وَأَصْبَحُوا وَقَدْ مَسِيخُوا قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ“**^{٢٢}. وهذا ما وقع لأصحاب السبت كما ذكرنا في بداية لقائنا؛ بسبب عصيانهم أمر الله عز وجل، فالأمر خطيرٌ جدًّا، وعلينا أن نقف بوجه الذنوب ونحاول دفعها مهما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

أسأل الله أن يرفع عتاً غضبه وأسأله أن يجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم أن نلقاه، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتناسب القراء وبما لا يخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

^{٢١} أخرجه البخاري في صحيحه.

^{٢٢} أخرجه أبي نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.